

اللَّهُ حَذَرَ الْمُعَلِّمَ مِنْ اسْتِعْبَادِ الْمُتَعَلِّمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَمَّا بَعْدُ:

فَقَدْ حَذَرَ اللَّهُ الْمُعَلِّمَ مِنْ اسْتِعْبَادِ الْمُتَعَلِّمِ. فَقَالَ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿مَا كَانَ لِلشَّرِّ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]

فَمَنْ دَرَسَ الطُّلَّابُ أَقْوَالَهُ وَأَقْوَالَ مَنْ دَرَسَهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ اللَّهِ خَرَجَهُمْ عِبِيدًا لَهُ وَلَمْ يَنْ دَرَسَهُ لَا يَعْمَلُونَ إِلَّا بِأَقْوَالِهِ وَأَقْوَالَ مَنْ دَرَسَهُ وَلَا يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَّا إِلَيْهَا. ﴿كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٩].

وَمَنْ دَرَسَ الطُّلَّابُ أَقْوَالَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِي التَّفْسِيرِ خَرَجَهُمْ رَبَّانِيِّينَ لَا يَعْمَلُونَ إِلَّا بِأَقْوَالِ رَبِّهِمْ وَلَا يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَّا إِلَيْهَا. ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

وَأَوَّلُ مَنْ اسْتَعْبَدَ الْمُتَعَلِّمَ مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْكِتَابِ عُلَمَاءُ الْمَذَاهِبِ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]

وَأَوَّلَ مَنْ اسْتَعْبَدَ الْمُتَعَلِّمَ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ عُلَمَاءُ مَذَاهِبِ السُّنَّةِ وَالشَّيْعَةِ.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَتَبْعَنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، شَبْرًا بِشَبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَا تَبْعَتْهُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ^(١) وَمُسْلِمٌ ^(٢)].

وَاسْتَعْبَدَ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ الْمُتَعَلِّمِينَ فِي مَذَاهِبِ السُّنَّةِ بِأَقْوَالِهِمْ.

فَقَالُوا: «مَنْ لَمْ يَبْلُغْ رُتَبَةَ الاجْتِهَادِ مِنَ الْعُلَمَاءِ فَلْيَقْلُدْ قَوْلَ إِمَامٍ» وَلَمْ يَقُولُوا: فَلْيَسْأَلِ الْإِمَامَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

وَقَالُوا: «مَنْ كَانَ عَامِيًّا فَلْيَقْلُدْ قَوْلَ الْمُفْتِي». وَلَمْ يَقُولُوا: مَنْ كَانَ عَامِيًّا فَلْيَسْأَلِ الْمُفْتِيَّ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

وَقَالُوا: «إِذَا اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فَقْلُدْ عُلَمَاءَ بَلَدِكَ». وَلَمْ يَقُولُوا: إِذَا اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فَاسْأَلْ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

وَقَالُوا: «إِذَا اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فَقْلُدْ الْأَعْلَمَ مِنْهُمْ». وَلَمْ يَقُولُوا: إِذَا اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فَاسْأَلْ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

وَقَالُوا: «لَا تَقُلْ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ إِمَامٌ» وَلَمْ يَقُولُوا: لَا تَقُلْ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ.

وَقَالُوا: «أَخْرِجْ قَوْلَ مَنْ سَبَقَكَ مِنَ الْأَئِمَّةِ حَتَّى نَقُولَ بِقَوْلِهِمْ» وَلَمْ يَقُولُوا: أَخْرِجْ قَوْلَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ عَلَى قَوْلِكَ حَتَّى نَقُولَ بِقَوْلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ

وَقَالُوا: «أَخْرِجْ لَنَا إِمَامًا مِنَ الْأَئِمَّةِ عَمِلَ بِقَوْلِكَ حَتَّى نَعْمَلَ بِهِ» وَلَمْ يَقُولُوا: أَخْرِجْ لَنَا قَوْلَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ عَلَى قَوْلِكَ حَتَّى نَعْمَلَ بِهِ.

(١) صحيح البخاري باب ما ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ

(٢) صحيح مسلم باب اتِّبَاعِ سُنَنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى

وَقَالُوا: «أَعْطَيْنِي إِمَامًا قَالَ بِقَوْلِكَ فِي أَيِّ عَصْرِ حَتَّى نَتَّبِعَهُ» وَلَمْ يَقُولُوا: أَخْرِجْ لَنَا قَوْلَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ حَتَّى نَتَّبِعَهُ.

وَقَالُوا: «إِذَا كَانَ لِلْأَئِمَّةِ قَوْلَانِ فَلَا تُحَدِّثْ قَوْلًا ثَالِثًا»

وَلَمْ يَقُولُوا: إِذَا كَانَ لِلْعُلَمَاءِ قَوْلَانِ فَاسْأَلْ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِأَنَّهُ مَعَ أَحَدِهِمَا لِأَنَّ الْحَقَّ وَاحِدٌ.

وَقَالُوا: نُفَسِّرُ قَوْلَ اللَّهِ بِأَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ وَلَمْ يَقُولُوا: نُفَسِّرُ قَوْلَ اللَّهِ بِقَوْلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

وَقَالُوا: «نَفْهَمُ قَوْلَ اللَّهِ بِفَهْمِ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ»، وَلَمْ يَقُولُوا: نَفْهَمُ قَوْلَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

وَقَالُوا: لَا تَقْرَأْ وَلَا تَسْمَعْ لِغَيْرِ عُلَمَاءِ مَذْهَبِكَ وَلَا تَدْرُسْ عَلَى غَيْرِهِمْ لِتَعْطِيلِ سَمْعِكَ وَبَصْرِكَ وَعَقْلِكَ لَا سِتْعْبَادَكَ.

وَقَالُوا: كُلُّ مَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ مَذْهَبِ السَّلَفِ فَهُوَ خَارِجِيٌّ ظَاهِرِيٌّ لِمَنْعِ الْخُرُوجِ عَنْ أَقْوَالِ عُلَمَاءِ الْمَذْهَبِ لِتَعْطِيلِ سَمْعِكَ وَبَصْرِكَ وَعَقْلِكَ لَا سِتْعْبَادَكَ. وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

الْمَلِكُ الْمُتَّقِي

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ

لِلتَّوَّاصِلِ وَاتِّسَابِ: ٠٠٩٦٦٥٠٤٧٣٧٣٠٤

